

الفائق في غريب الحديث

قالوا : يا رسول الله : أفَرَأَيْتَ وهو مَنْ يَمُوتُ وهو صَغِير ! قال : إنَّ الله أعلم بما كانوا عاملين . بِإِذْنِ الْفِطْرَةِ تَدُلُّ عَلَى النُّوعِ مِنَ الْفِطْرِ ; كَالْجِلَاسَةِ وَالرَّكْبَةِ . وَفِي اللَّامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا مَعْهُودَةٌ وَأَنَّهَا فِطْرَةٌ ؛ الَّتِي نَطَقَ بِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : فَأَقِيمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ; فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ; لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَالْفِطْرُ : الْإِبْتِدَاءُ وَالْإِخْتِرَاعُ . وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَدْرِي مَا فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّى احْتَكَمْتُ إِلَى أَعْرَابِيَّانَ فِي بَيْئَرٍ ; فَقَالَ أَحَدُهُمَا : أَرَأَيْتَ فِطْرَتُهَا ; أَيِ ابْتَدَأَتْ حَفَرَهَا . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُؤَلِّدُ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْجِبِلِّ ; وَهُوَ فِطْرَةٌ ؛ وَكَوْنُهُ مُتَّهِيًّا مُسْتَهْدَفًا لِقَبُولِ الْحَنِيفِيَّةِ طَوْعًا لَا إِكْرَاهًا وَطَبْعًا لَا تَكَلُّفًا لَوْ خَلَقَتْهُ شَيْطَانٌ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَمَا يَخْتَارُهُ لَمْ يَخْتَرْ إِلَّا إِيَّاهَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى جَنْبِ سَوَاهَا . وَضَرَبَ لِذَلِكَ الْجَمْعَاءَ وَالْجَدْعَاءَ مَثَلًا يَعْنِي أَنَّ الْبَهِيمَةَ تُؤَلِّدُ سُورِيَّةَ الْأَعْضَاءِ سَلِيمَةً مِنَ الْجَدْعِ وَنَحْوِهِ لَوْلَا النَّاسُ وَتَعَرَّضُ لَهُمْ لَهَا لَبَقِيَتْ كَمَا وُلِدَتْ وَقِيلَ لِلْسَّلِيمَةِ : جَمْعَاءَ لِأَنَّ جَمِيعَ أَعْضَائِهَا وَافِرَةٌ لَمْ يُنْذَقْ قَاصٌّ مِنْهَا شَيْءٌ . وَفِي مَعْنَاهُ حَدِيثُهُ A : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَِّّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَدَلَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ ; وَجَعَلْتُ مَا نَحَلْتَهُمْ مِنْ رِزْقٍ فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ فَحَرَّمْ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ مَا أَهْلَلَتْ لَهُمْ . يَعْنِي الْبَحَائِرَ وَالسُّبُوبَ . وَقَوْلُهُ A : بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ : إِشَارَةٌ إِلَى تَعَلُّقِ الْمَثُوبَةِ وَالْعُقُوبَةِ بِالْعَمَلِ ; وَأَنَّ الصَّغَارَ لَا عَمَلَ لَهُمْ ; وَقَدْ أَخْرَجَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ ; وَأَنَّ اللَّهَ بَجَازِي الصَّغَارِ كِفَاءً مَا عَمِلُوا ; وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا عَمَلًا يُجَازُونَ بِهِ